المحاضرة رقم –08– مستويات التحليل اللساني1: المستوى الصوتي: (المستوى الفونولوجي)

تمهيد

1– الصوت اللغوي
2– الدراسة الصوتية عند العرب
3– الدراسة الصوتية عند الغرب

لقد اهتم الفكر الإنساني منذ الحضارات القديمة بالظواهر الصوتية على اعتبار أن التواصل الإنساني يتحقق باستعمال الصوت، و قد سبقت الإشارة إلى أن الهنود كانت لهم نشاطات بارزة في دراسة الأصوات اللغوية من ناحية الدقة و الوصف و التصنيف. أما اليونان فقد اهتموا بنظام الكتابة وتطوره في الحضارة اليونانية وما طرأ على سلسلة الحروف من تغيّر، و تعزى لأفلاطون جهوده في التحليل السمعي للأصوات خاصة في تمييزه للصوائت و الصوامت، و قد عرّف أرسطو الصوت في كونه أصغر وحدة غير قابلة للتحليل كما أنه مبين بين ثلاثة أنواع من الأصوات: الصائتة والمتوسطة والصامتة.

أولا: الدراسة الصوتية عند العرب

لقد حظي الجانب الصوتي عند العرب الأوائل باهتمام كبير و ذلك لارتباطه بالنص القرآني قراءة و فهما، لذا تتبع العلماء على اختلاف توجيهاتهم العلمية: قراءة، نحاة، فلاسفة، مختلف الظواهر الصوتية معتمدين الملاحظة المباشرة، و الوصف الدقيق، و ليس أدل على ذلك من قصة أبي الأسود الدؤلي (ت 68 هـ) مع كاتبة حين وضعه لنقط الإعجام*، و التي تبين شكل واضح المنهج العلمي الموضوعي القائم «على ملاحظة العملية اللفظية ملاحظة مباشرة، من حيث هي أداء خطابي في الواقع الفعلي للحدث اللغوي».

و لم يغفل هؤلاء العلماء من وضع المصطلحات الصوتية تبعا للميزات الوظيفية، و لعل الخليل بن أحمد هو أول درس الأصوات و وصفها وصفا دقيقا تبعا لمخارجها عند وضعه لأول معجم عربي رُتِّبَ على أساس صوتي متتبعا مسار إنتاج الصوت من الخلق إلى الشفتين حيث صنفها إلى:

معتمدا في ذلك كله على حسه و سمعه.

* قال أبو الأسود لكاتبه: «إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، فإن ضمَمْتُ فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، و إن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف [فإن اتبعت شيئا من ذلك غنة، فاجعل مكان النقطة نقطتين] فهذا نقط أبي الأسود».
ينظر: –السيرافي (أبو سعيد الحسن بن عبد الله)، أخبار النحويين البصريين، تح: طه الزيني و عبد المنعم خفاجي، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر، ط1، 1955، ص 12.

جدول تصنيفي لتوزيع الأصوات عند الخليل:

الأصوات	مخرجها	نوعها
ع– ح– هـ– خ– غ–	– من الحلق	– حلقية
ق– ك–	– من اللهاة	– لهوية
ج– ش– ض–	– من شجر الفم	– شجرية
ص– س– ز–	– من أسلة اللسان	– أسلية
ط– د– ت	– من نطع الضار الأعلى	– نطعية
ث – ذ– ظ–	– من اللثة	– لثوية
ر– ل– ن–	– من ذلق اللسان	– ذلقية (ذولقية)
ف– ب– م–	– منه الشفة	– شفوية
و– ا– ى– همزة	– هوائية [جوفية]	– حروف العلة

و كل من جاء بعد الخليل حذوا حذوه و اتسعوا فيما جاء به بإضافة مصطلحات جديدة أو تغيير القديمة بأخرى جديدة. فقد جعل سيبويه في كتاب بابا للإدغام تناول فيه عدد حروف العربية ومخارجها، مهموسها ومجهورها، وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها. وقد خالف ترتيب أستاذه للحروف بالطريقة التالية: **همزة، ا هـ/ ع ح /غ خ/ ق /ك / ج ش ي/ ض/ ن ل ر / ط د ت / ز س ص / ظ ذ ث/ ف/ ب م و.**

ويعتبر كتاب ابن جني بـ «سرّ صناعة الإعراب» أول مؤلف منفرد بعلم الأصوات، تناول فيه الصوت يقول: «هذا العلم؛ أعني علم الأصوات والحروف له تعلّق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنّغم».

و فيه حدد ابن جني تعريفا للصوت بقوله: «اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حيث يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثبته عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرف، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها».

كما ميّز فيه بين الصوامت و الصوائت (الحركات) و حدد مراتبها في النسيج المقطعي للسان العربي.

كما أنه لم يغفل ترتيب الأصوات على حسب مخارجها مبينا صفاتها (المهموسة، المهجورة، الشديدة والرّخوة، المطبقة والمنفتحة، المستعلية والمنخفضة ...).

أما ابن سينا (370 هـ– 468هـ) و وفقا لخلفيته العلمية التي ترسخ مبدأ التكامل المعرفي و المنهجي بين العلوم، فقد وظف الطب و التشريح في دراسة الأصوات الطبيعية و اللغوي، و قد تناول في رسالته «أسباب حدوث الحروف». ستة فصول مرتبة كالتالي:

1- في سبب حدوث الصوت
2- في سبب حدوث الحروف
3- في تشريح الحنجرة و اللسان
4- في الأسباب الجزئية لحرف من حروف العرب
5- في الحروف الشبيهة بهذه الحروف [و ليست في لغة العرب]
6- في أن هذه الحروف قد تسمع من حركات غير نطقية

و قد ميز عمل ابن سينا حديثه عن الصوت في كونه حالة عضوية أو طبيعية، أما الصوت اللغوي فيتشكل في المخارج أو ما يسمى بالمحابس التي تحدده، و يسميه بالحرف.

و هو ما يقابل مصطلح الفونيم (Phonéme) في الدراسات اللغوية الحديثة، و الحرف عنده ليس رمزا للكتابة بل الوحدة الصوتية التي ليس لها معنى في ذاتها و لكنها قادرة على تغيير المعنى.

ازدهار الدراسات الصوتية عند العرب أدى ببعض المستشرقين إلى التشكيك في مصدرها، و أنها مقتبسة من أعمال بانيني الهندي منهم «فولرز» (K.VOLERS). و منهم من نفى ذلك نفيا مطلقا منهم جورج مونان وبروكلمان، كما بين ذلك أحمد مختار عمر بالبيان و الحجة.

ثانيا: الدراسة الصوتية عند الغرب:

شاع في الدرس الصوتي الحديث في الغرب مصطلحات اثنان هما الفونتيك (Phonétique) والفونولوجيا (Phonologie) رغم اختلاف الآراء حول تحديد ماهيتهما، و في الجمع بينهما في كونهما يتناولان مادة واحدة و هي الأصوات.

لكن أكثر ما يتفق عليه لدى العلماء هو أن علم الأصوات النطقي (phonétique)يهتم بدراسة الأصوات اللغوية من حيث المخارج و الصفات، ثم يقدم نتائجه للصوتيات الوظيفية (Phonologie) و تسمى كذلك التشكيلية التي تعني بائتلاف الوحدات الصوتية(Phonèmes)مقاطع و صيغ و ما يتبعها من ظواهر صوتية كالنبر والتنغيم.

1–علم الأصوات (فونتيك)

و على كل فإن علم الأصوات عند الغربيين يقسم إلى أربعة أقسام هي:

أ– علم الأصوات النطقي (Phonétique articulatoire) أو الفيزيولوجي ويدرس مخارج الأصوات وصفاتها وطريقة نطقها، ويصف أيضا أعضاء النطق ووظيفتها.

ب– علم الأصوات الفيزيائي (Phonétique acoustique) و يدرس الأصوات من حيث هي موجات متنقلة عبر الهواء من جهاز نطق المتكلم إلى أذن السامع، و العوامل الفيزيائية المؤثرة في ذلك.

ج– علم الأصوات السمعي (Phonétique auditive): يدرس جهاز السمع عند الإنسان، يوضح ماهية الإدراك الفاسد وأثره في وصف الأصوات.

د–علم الأصوات التجريبي Phonétique expérimentale): أو المعملي يدرس خصائص الأصوات باستخدام الأجهزة و صور الأشعة.

و في العصر الحالي دخلت الكثير من العلوم الطبية مثل الفيزيولوجيا العصبية والدماغية واللسانيات الحاسوبية خاصة الدراسات الغربية الحديثة تحاول إيجاد الطريقة التي يحلل بها الدماغ اللغة أثناء اكتسابه و إنتاجه للغة.

2– وصف جهاز النطق (organes articulatoire): تحدد الدراسات الحديثة جهاز النطق يطلق عليه مجازا جهاز النطق، لأن النطق وظيفة ثانوية مقارنة بالوظيفتين الأساسيتين الأكل و التنفس* من الرئتين إلى الشفتين، وفيه أعضاء نطق ثابتة كالأسنان العليا و اللثة و الغار و الجدار الخلفي للحلق، وأخرى متحركة مثل الشفتين واللسان و الفك السفلي و الطبق و اللهاة و الحنجرة والوترين الصوتيين والرئتين، و يأتي ترتيبها كالتالي:

- الرئتان– القصبة الهوائية (الرغامى)– الحنجرة– الوتران الصوتيان– لسان المزمار– البلعوم– اللسان (طرفه و مقدمه و مؤخرة)– اللهاة– الطبق– الغار– أصول الأسنان (أي اللثة)– الأسنان– الفك الأسفل– التجويف الأنفي– الشفتان.

ب– الأصوات الصامتة والصائتة:

عند خروج الهواء عبر الحنجرة باتجاه الفم محاولا الخروج، فإذا اعترضه معترض أو ضيّق مجراه سُمي الصوت المنبعث صامتا. و يرادفه مصطلحات في العربية منها الصحيح الساكن والحبيس ويقابله بالأجنبية Consonne.

* ينظر: عبد الرحمن أيوب، أصوات اللغة، مطبعة الكيلاني، ط2، 1968، ص 40.

أما إذا خرج الهواء عبر الحنجرة يهتز الوتران الصوتيان يتولد رنين مسموع و في الوقت نفسه تقوم بعض أعضاء جهاز النطق بحركات تشكيلته ليس فيها حبس أو تطبيق مما يسمع للهواء بالخروج من الفم أو من الفم والأنف معا، و يصدر ما يسمى بالصوت الصائت وتطلق عليه تسميات متعددة مثل المصوّت، الحركة، العلة، وصوت اللين، يقابله بالأجنبية (Voyelle). و هو أوضح في السمع من الصامت و اللغة العربية بها نوعان من الحركات: الحركات القصيرة و هي الفتحة، الضمة، و الكسرة، و الحركات الطويلة الألف، الياء و الواو، و يمكن الفرق بينهما في الكمية فقط.

2– علم الأصوات الوظيفي (الفونولوجيا): علم لساني يختص بدرس أصوات اللغة للوصول إلى طرق ائتلافها ونظام تركيبها.

لقد حدد العالم الروسي تروبتسكوبي مهمة الفونولوجيا في الوظيفة التي تؤديها العناصر الصوتية ضمن مجموعة العلاقات التي يفرضها نظام اللغة؟

و يقوم منهج التحليل الفونولوجي التركيبي* إلى إمكانية تقسيم الوحدات الصوتية إلى.

1– الفونيم (Phoneme) و هو أصغر وحدة غير دالة.
2– المقطع (Syllable) مجموعة الفونيمات المركبة وفق نظام معين في لغة معينة.
3– مجموعة النبر (Stress group) أو القدم الصوتي (phonetic foot) عبارة عن تتابع من المقاطع يتميّز واحد منها بالضغط عليه (قد تكون المقاطع الأخرى غير منبورة أو نصف منبورة).
4– المجموعة النغمية (tonegroup)، تحتوي على قدم أو أمر.
5– المجموعة النَّفسيَّة (tbreathgroup): تتابع صوتي تحدد بدايته و نهايته طاقة النفس، و عادة ما ينظم المتكلم المجموعات النفسية لتُناسب تقسيمات المعاني.
6– الجملة الفونولوجية (phonological sentence): أكبر من المجموعة النفسية تقابل الفقرة في اللغة المكتوبة.

و مع هذا فهناك اختلاف في تحديد ماهية هذه المصطلحات و حتى في تقسيماتها.

و ما طرح في العناصر السابقة لا يحيط إحاطة كاملة شاملة بل هناك العديد من العناصر التي ينبغي الوقوف عندها مثل مقابس أصوات اللين، أشباه أصوات اللين، المماثلة، عوامل تطور الأصوات اللغوية، أثر العادات الصوتية في تعلم اللغات الأجنبية و غيرها.

* هناك منهجان للتحليلي الفونولوجي: المنهج الجلوماتشيكيكي (استنباطي تحليلي ينتقل من الكل إلى الجزء) و المنهج التركيبي (ينتقل من الجزء إلى الكل).

مخطط لجهاز النطق مع بيان مخارج الأصوات العربية وصفاتها

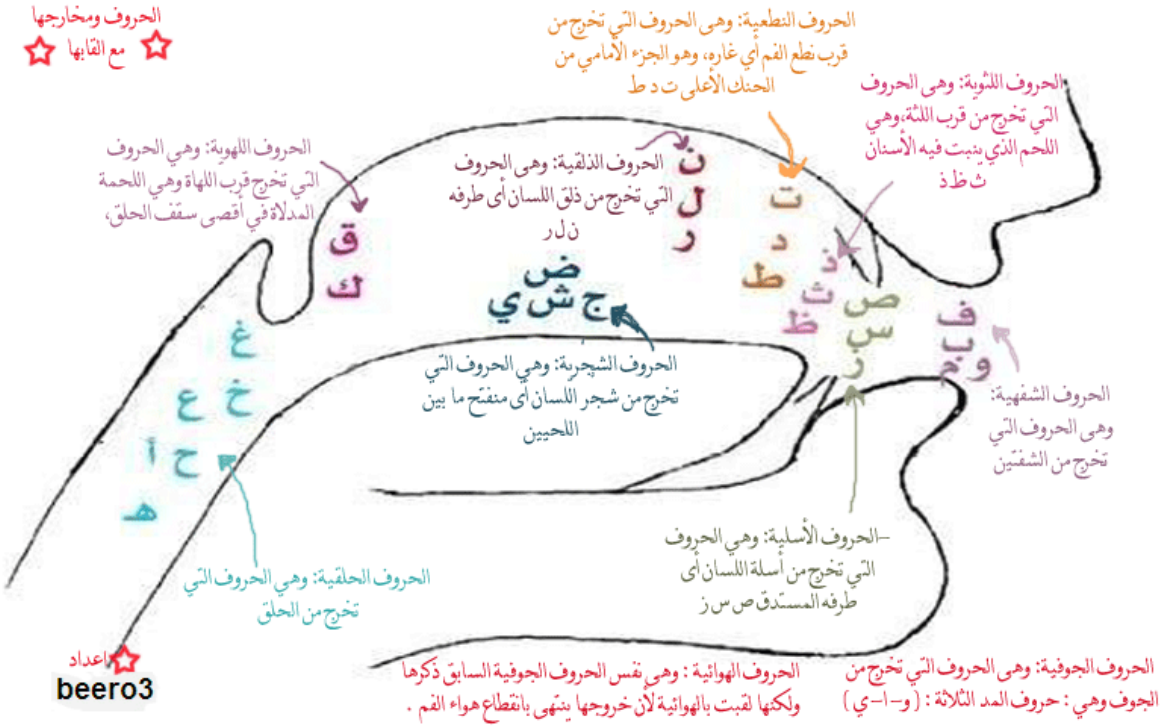

المحاضرة رقم 9: المستوى الصرفي: المورفولوجي

يصلح على المستوى الثاني من دراسة اللغة بعلم الصرف ويقابله بالأجنبية (Morphologie)، و هو العلم الذي يعنى بدراسة صيغ الكلمات (Morphèmes).

1–مفهوم المورفيم:

المورفيم هو أصغر وحدة صرفية لا تقبل التقسيم إلى وحدات دالة، و قد قسمها محمود السعران إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون عنصرا صوتيا (صوتا واحدا أو مقطعا أو عدة مقاطع).

الثاني: عنصر صوتي معبّر عن المعنى.

الثالث: الموضع الذي يمثله في الجملة كل عنصر من العناصر الدالة على المعنى.

و يطلق على المورفيم كذلك مصطلح المونام ويُقابل في اللغة العربية بالوحدة الصوفية أو الكلمة، و العكس غير صحيح. فكلمة (تَدرُس) مثلا تتكون من وحدتين دالتين الوحدة الأولى هي حرف المضارعة (التاء) و الثانية هي جدار الفعل (درس).

2– مفهوم الكلمة:

رغم أن الدراسات القديمة عربية و غير عربية تجمع على تقسيم الكلمة إلى اسم و فعل و حرف إلا أنها لم تتضح تعريفا جامعا مانعا "للكلمة" و ذلك لتنوع صورها و تعدد دلالتها بين الجذر الواحد الذي يشتق منه كلمات أخرى، (عمل، معمل، عمال)، و الاسم العلم المفرد، و المركب، و التركيب المزجي، أو الجموع التي تدل على جنس الجمع من جهة و نوعه من جهة أخرى (مثل رجال).

أو الأفعال المصرفة التي تحمل دلالة الفعل و دلالة الزمن كذلك.

من التقسيمات المشهورة للكلمة الصوتية الكلمة النحوية وا لكلمة المعجمية.

3–الأشكال المختلفة للمورفيم:

1/ المورفيم الحرّ: أشار إليه بلومفيلد على أنه عنصر لغوي مستقل في الخطاب غير مقيد بعناصر أخرى من الكلام، مثل: أسماء العلم، الضمائر المنفصلة ...

2/ المورفيم المقيد: و هو الذي لا يملك استقلالية بذاته، بل لابدّ له من اتصال مع مورفيم آخر سواء كان حرّا أو مقيدا، مثل: أحرف المضارعة في العربية، أو علامات التثنية و الجمع، و تاء التأنيث في العربية.

3/ المورفيم الاشتقاقي أو المعجمي: و هو مورفيم ناتج عن تغيرات أو إضافات لمورفيم أصلي مثل الأفعال المزيدة، في العربية أو أسماء الزمان و المكان.

4/ المورفيم الصفري: هي المورفيمات التي لا تظهر أثناء الكلام أو على المستوى الخطي و لكن يمكن استنتاجها مثل الضمائر المستترة، و يرمز له في اللسانيات الحديثة بالعلامة العدمية (Ø).

5/ المورفيم الجامد: هي مورفيمات جامدة ليست لها أصول اشتقاقية، و لا يمكن تصريفها، و يندرج ضمن هذا النوع أصناف كثيرة مثل ظروف الزمان و المكان و أسماء الأفعال، و غيرها و قد اصطلح عليه تمام حسان "الخالفة" أخذه عن الفرّاء، و قد قسمها إلى: خالفة الإخالة (صه– هيهات) خالفة الصوت (اسم الصوت)، خالفة التعجب، خالفة المدح و الذم.

6/ المورفيم المركّب: و يكون مركبا من مورفيين فأكثر، و هي قليلة في اللغة العربية منها ما ورد القرآن الكريم: «أَنُلزمكموها» (هود: 28) «فسَيَكْفيكَهُمْ» (البقرة: 137).